

الغريبات

قصته بقلم محمد كامل عارف

قالت : وماذا يعني ذلك ؟
قال : كيف وماذا يعني ذلك ؟
قالت : انه لا يعني أي شيء .
- حسنا .. ينبغي أن يكون هناك سبب ما . أعني أنك تطلبين شيئا ما من الله .
قالت : ولكنني لم أطلب أي شيء !
والتفتت نحوه فافرة فيها . سألتها :
- أنت لا تريدين من الله أي شيء إذن ؟
وعادت تتطلع داخل الكنيسة ، صاغطة جيبتها نحو كفيها المسكين بالسياج . وقالت :
- ولكنني لم أطلب أي شيء .. ثم انني لا أعتقد بذلك .
والتفتت نحوه . بدأ وجهها شاحبسا ، بنفسجيا تحت ضوء المصابيح الليلية ، وشفثاها حليبتين ، ومبتمتين بالنففسج . بقيت تتطلع فيه ، والريح نلف أطراف شعرها حول عنقها ، وتبعثرها فوق ذقنها وشفثيتها . أزاحت شعرها ، ممسكة به وراء عنقها ، وسألته :
- لماذا تضحك ؟
قال : أنا لا أضحك !
- ولكنك كنت تضحك . كنت تنظر في وتضحك !
قال : لم أكن أضحك . كنت أنظر نحوك هكذا . وأفكر بالعجوز التي تشبه العنز الأبيض .
قالت : أوه أنك أحق !
وضحكت .
- أن الفتاة المهذبة لا تقول لعمها أنت أحق .
- أوه أنك أحق أيضا .
- أنا أكبرك بخمسة أعوام .
- يعني أنك لا تستطيع أن تكون عمي .
- حسنا . أنا أخوك الأكبر .
- وأنا لا أريدك أن تكون أخي الأكبر .
- ما الذي تريدني أن أكون إذن ؟
عصرت شفثتها العليا ، ولطمته على ذقنه ، وأخذت تركض . ركض وراءها ، متجاوزا الكنيسة ، ملتفا حولها ، ثم انحدر خلفها نحو حافة التلال . وانبتقت موسكو في الاسفل من وراء هضبة التلال وحوافه : امتدت تحتها ، تتوهج أنوارها حتى أفق السماء البيضاء ، وتتلامع فيها نطق نور ، ونجوم وأقواس حمراء وزرقاء برتقالية وصفراء وبنفسجية ، تبتق وتدور وتهتز وتختفي وتنبض . اقترب منها ، ولف ذراعيه حولها ، فانكأت برأسها على صدره ، وأخذت يهتران فوق حافة التلال ، والريح لا تفتأ تدوي من الخلف ، وتحت أقدامهما تنحدر التلال بأشجارها المضيئة الى الاسفل ، ومياه قناة موسكو تتللا عند المنعطفات ، فيما وراء الأشجار .
قالت : لنختبئ بين الاحراش هناك .
وتقدمته نحو حافة التلال . تحدرت الى الاسفل ، مخترقة طريقا ضيقة ، متعرجة بين الاحراش . وانفتحت أمامها فجوة ترابية مضيئة . هبطت نحو الأرض ، فارتدى بجانبها . واخنتت موسكو وراء الأشجار .

كانت الريح تدفعهما من الخلف بقوة ، وهما يعبران الساحة المريضة ، تحت سماء بعيدة وبيضاء . خفتت أصابعها في كفه ، فالتفت اليها ، وأشارت نحو الغرب . قالت :
- انها أكثر بيضاء هناك .
قال : ان الشمس تدور هناك خلف الافق . ستظل تدور بمحاذاه، ثم ترتفع مرة أخرى من الشرق .
كانت الشمس ترتفع من الافق الغربي مضيئة ومريية ، ثم يتخافت ضوءها وتأخذ تعتم . التفت الى الخلف بوجه الريح ، فرأى صفوف النوافذ المضيئة لجامعة موسكو : مربعات زرقاء وبرتقالية ، مثبتة في سماء الليل . اخنتت ثلاثة مربعات بشكل متتابع ، وانبتقت مربع حليبي مود . وسمع صوتها تقول :
- لنلتف حول الكنيسة ، سنرى موسكو من فوق حافة التلال . وتركت يده راكضة بمحاذاة سياج الكنيسة . وتوقفت فجأة .
والصقت رأسها بالسياج . اقترب منها ، فأشارت بأصبعها عبر السياج ، وهمست :
- اكتشفت مقبرة . أنظر .
تطلع داخل الكنيسة ، فرأى قبرين أبيضين ، يطلان من بين الاحراش القصيرة . وأضافت هي هاسمة :
- لم أنتبه اليهما في الصباح .
سألها : وهل كنت صباح اليوم هنا ؟
قالت : اسمع .. اسمع .
قرب أذنه من سياج الكنيسة الحديدي البارد ، فسمع وشوشة ماء . كان الماء يهسهس بصوت ضعيف لا يكاد يسمع ، وأمالت هني رأسها نحو السياج ، رافعة حاجبيها القصيرين الى الأعلى ، تنصت وتبتسم . سألتها مرة أخرى :
- هل كنت صباح اليوم هنا ؟
انخفض حاجبها ، وتطلعت في عينيه ضاحكة ، وقالت : أجل .
- وحدك ؟
- وحدتي .
وعصت شفثتها العليا : أضاعت شمعتين عند المذبح الكنيسة . والتفتت متطلعة الى القبرين الأبيضين . وأضافت :
- لم أضعهما بنفسني عند المذبح .. أوه ! لم أستطع أن أدخل الكنيسة . كان هناك عجائز كثيرات .. كلهن عجائز . وبقيت أنا واقفة عند الباب ويدي الشمعتان . التفتت عجوز نحوي .. كانت عجوزا جدا ، تشبه العنز الأبيض . أخذت الشمعتين من يدي وأعطتهما للنساء أمامها .. أندري ؟ لقد بقيت الشمعتان مولعتين وهما تتنقلان بين أيدي العجائز .. لم تنطفئا .
- لماذا ؟
- ماذا ؟
- لماذا أولعت شمعتين للكنيسة ؟
- أوه !
وضحكت : لا أدري .
وضحكت مرة أخرى .
قال : ولكنك شيعوية .

مؤسسة نوفل للطباعة والنشر

و

((بيت الحكمة))

يقدمان

الحرب العالمية الثانية

للمؤرخ والصحافي الشهير

ريمون كارنييه

(في جزئين)

صدر حديثا

تطلع الى السماء البعيدة البيضاء فوقه . لم تعد الريح تدفهما
من الخلف ، الا انها كانت ما تزال تدوي في الاعالي . استند على
مرفقيه ، واخذ يعبت بالتراب ، وينصت لصوت الريح . قالت :

- انك تضحك ايضا ؟
اجابها : اجل .

- ما الذي يضحكك الان ؟

- لا شيء . انني اضحك هكذا .

- كيف تضحك هكذا ؟ انك تحفر الارض باصابعك وتضحك !
ها .. ها ! أنت لا تزال !

قال : ولكنني لا اعرف لماذا اضحك !؟

- كيف لا تعرف لماذا تضحك ؟

- لست ادري .. انني افكر هكذا .. أنت من سانتياغو .. من
التشيلي .. هناك في أقصى أميركا الجنوبية . وأنا من بغداد .. ها

من العراق . ابوك اسمه البرتو دي سوزا ألفاريز . وأنا ..

قالت : وما الذي يضحك في ذلك !؟

- لا . اسمعي .. أنت تدرسين الفلسفة .. وأنا أدرس الفيزياء
الذرية . وكلانا نعيش في بلد غريب عنا . ها ؟

- وماذا في ذلك ؟

- أنت شيوعية . وأنا .. أنا لا اعرف بماذا تؤمن .

قالت : وما الذي يضحك في ذلك ؟ ما الذي يضحك في ذلك ؟

قال : ولكنني لا اعرف لماذا اضحك . حقا لا اعرف لماذا اضحك .
قالت : ينبغي أن تعرف . أنت ستصبح عالما فيزيائيا . وينبغي

أن تعرف كل شيء .

- حسنا . انني لا اعرف أي شيء مطلقا . ألا يضحك هذا ؟

انني لا اعرف ما هي الذرة . ولماذا توجد . لا اعرف ما هو هذا التراب .
ولا أحد يعرف . ان كل ما نعرفه ، عن كل شيء ، يمكن أن يصبح بفضة

جديدة من المعرفة سخيفا . وهذه انقضة الجديدة ، يمكن ان تصبح
هي أيضا سخيفة بفضة أخرى جديدة . يعني لا أحد يعرف أي شيء .

قالت : لست أفهمك ؟

- اسمعي . انني اضحك ، لانني لا اعرف أي شيء . ولا أحد
يعرف أي شيء . هذا هو الذي يضحكني .

جذبت من شعره ، وقالت : أنت مجنون أيضا .

قفز على قدميه ، وتناول حجارة من الارض . أخذ يدور بالحجارة
حول نفسه كرامي القرص ، وطوح بها الى الاعلى . ارتفعت الحجارة

مضنية ، ثم انكفت الى الاسفل واختفت بين الاشجار . وجلست هي
تنتظر فيه . فاخذ يتقاذف فوق الارض ، ويصرخ مثل الهنود الحمر ،

وهي ما تفتأ تنطلق فيه . ورمى بنفسه بجانبها ، على الارض ، واستلقى
يتطلع الى الاعلى ، نحو السماء البيضاء . قال : ان الريح تدوي

في الاعالي .

ولم تجبه . وأحس بها ما تزال تنطلق فيه . لف ذراعيه حول
رأسه ، وأغلق عينيه . ومالت هي نحوه ، فتحت باصابعها أجنانه

المفلقة ، وتطلعت في عينيه . تعلق بها بذراعه ، وشد رأسها نحوه ،
وقبلها في فمها . قالت له : لا تفعل . ودفعته عنها .

ألقاها على الارض ، وانكفأ فوقها ، وقبلها في عينها ، قبلها
في جبينها ، ثم في عينها المغمضتين ، وتحت شفيتها ، وفي أسفل

ذقنها .

- لا تفعل . لا تفعل .

واحتضنها بجسده كله ، وغطس بشفتيه في شفيتها المرتعشتين ،
البللنين بالدموع .

محمد كامل عارف

لينينغراد